فرقة العانانية اليهود
دراسة في نشأتها وأصولها العقدية والتشريعية

نجم الدين الزنكي*

تمهيد

لقد شهد تاريخ اليهود سلسلة متواصلة من المدّ والجزر عقديّاً وفكريّاً، وذلك نتيجة التأثر بالظروف والبيئات، والاستجابة للتحديات التي واجهتهم في حياتهم، فقد تمثل اليهود في حياتهم بين حياتين، حياة دينية خاصة بهم جعلتهم يتراءون إلى بعد ديني غيبي يجعلهم شعباً مختاراً غالباً قويّاً، وحياة واقعية عانى فيها اليهود صنوفاً من القهر والظلم والاستضعاف في الأرض. هذه الازدواجية مدت الفكر اليهودي بأنماط من التطورات وأنواع من التحولات، فترى الدين اليهودي دين الطبقة الأرستقراطية عند الصدوقيين يستفعلونه كما يشاؤن، وتراه دين الطبقة الكادحة عند الفريسيين. وهكذا تتحول صور التدين اليهودي من جيل إلى جيل وتظهر في مظاهر وأشكال مختلفة باختلاف الطبقات والعصور.

وفرقة العانانية اليهود من الطوائف اليهودية التي اختصت بعقائدها وتشريعاتها وعاداتها، وكان مؤسسها عانان بن داود من الطبقة الدينية الأرستقراطية، وكان مبجلاً بينهم مؤهلاً لقيادة اليهود في العراق في عهد الخليفة العباسي المنصور، فانشق عن الربابنة واختص بمدرسته، وصار له أتباعه وتلامذته، وتمثل تعاليم هذه المدرسة سلسلة من الأحداث التاريخية المهمة التي تعكس تأثرها بالظروف الدينية في العراق آنذاك، وتكشف

* ماجستير في الفقه وأصول الفقه من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وطالب دكتوراه بالجامعة نفسها.

عن تأثير المنهج المعرفي الإسلامي على مناهج الملل والنحل الأخرى. لذا فإن إلقاء الضوء على هذه الفرقة وتاريخها وعقائدها وتصوراتها يعدّ بمثابة قراءة عميقة لتأثير الإسلام في الأديان الأخرى، على الرغم من إعطائه حرية اختيار الدين والعقيدة.

التعريف بالعانانية

الناظر إلى ترجمة "العانانية" في كتب التاريخ والفرق والأديان ودواوين الموسوعات العلمية الحديثة يجد أن الحديث عن فرقة العانانية اليهودية مختلف. ففي الكتب الإسلامية نجد "العانانية" فرقة مستقلة من فرق اليهود لا ارتباط يذكر لها مع ما يسمى بفرقة "القرائين"، فقد تطرق الشهرستاني (ت548هـ) لترجمة " العانانية" دون إشارة إلى علاقتهم بالقرائين مع إشارته إلى القرائين في مسألة الجبر والتشبيه.[1] ونجد المقريزي (ت1442م) يصرح بالاختلاف بين الفرقتين فيقول: "إن اليهود ـ الذين قطّعهم الله في الأرض أمما ـ أربع فرق، كل فرقة تخطئ الطوائف الأخر، وهي: طائفة الربانيين، وطائفة القرائين، وطائفة العانانية، وطائفة السامرة".[2] في حين نجد الدراسات المعاصرة تكاد تتفق على أن القرائين هم العانانية أنفسهم.[3]

وإذا علمنا أن الصفة الأساسية المميزة للقرائين والعانانية هي إنكارهم للشريعة الشفوية مع تقديس **التوراة** والأخذ بحروفها، فإننا نجد أن هناك ارتباطاً قويّاً بينهما، وأن الاختلاف لفظي يعود إلى ظهور الاصطلاح، أو هو اختلاف يعود إلى تفاوت ظهور هذه النزعة من حين لآخر. وقد ورد في موسوعة الأديان ما يدل على أن الظاهرة هذه كانت موجودة قبل ظهور عانان بن داود، ولكن لم تكن مذهباً رسميّاً ينشق عن الخط العام كما حدث في أيام عانان، فقد جاء فيها: "إن إعادة تاريخ الظاهرة القرائية إلى أيام عانان بن داود قابلة للنقاش، حيث إن معارضة الشريعة الشفوية والنداء بالعودة إلى **التوراة** سبقتا عانان بعدة قرون، وقبل ظهوره بقليل نجد أسماء لقادة يهود قادوا حركة معارضة للشريعة الشفوية، وقد حفظت أسماؤهم".[4]

---

[1] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، **الملل والنحل**، تصحيح أحمد فهمي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د. ت) ج2، ص233-238 .

[2] أحمد بن على المقريزي، **خطط المقريزي** (د. م: دار التحرير، 1270هـ) ج3، ص505.

[3] انظر: د.عرفان عبد الحميد فتاح، **اليهودية: عرض تاريخي** (بيروت: دار اليارق، ط1، 1417هـ/1997م) ص94 .

[4] Mircea Eliade, *The Encyclopedia of Religion*, vol. 1, New york, Macmilan, pp.261-262.

وإذا سلمنا بهذا الاحتمال فإنه جدير بالذكر أن المقريزي أشار إلى أن القرائين عرفوا بأسماء أخرى، فيقول: "يقال للقرائين أيضاً: المبادية، لأنهم كانوا يعملون مبادي الشهور من الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر. ويقال لهم أيضا: الأسمعية، لأنهم يراعون العمل بنصوص **التوراة** دون العمل بالقياس والتقليد".[5] وقد أشار الأستاذ العميد عبد الرزاق إلى تسميتهم بـ"الصفاتية" أيضا، ولم يبين مغزى هذه التسمية،[6] وقد يكون ذلك نسبة إلى كونهم يصفون الأحكام على حالها كما وردت في **التوراة** "*Scripturalists*" إضافة إلى اشتهارهم بأبناء الكتاب الحرفيين[7] "*Sons of the Scripture*"، وأنصار الكتاب الحرفيين "*Champions of Scriptur*".[8]

وقد شرح المقريزي مأخذ اشتقاق "القرائين" فقال ": أما القراء فإنهم بنوا "مقرا"، ومعنى مقرا الدعوة... وكان يقال لهم: أصحاب الدعوة الأولى، وهم يحكمون نصوص **التوراة**، ولا يلتفتون إلى قول من خالفها، ويقفون مع النص دون تقليد من سلف".[9] وبيّن نسبة (العانانية) بقوله: "وأما العانانية فإنهم ينسبون إلى عانان رأس الجالوت الذي قدم من المشرق، في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور".[10]

واشتهروا باسم قرائيم "*Qaraim*" في العبرية، "*Karaiters*" باللغة الإنجليزية، وقد عرف بهم الأستاذ *Willim L. Reese* فقال:

"إنه مصطلح عبري يعني قراء ظاهر النصوص. والمصطلح أطلق على فرقة يهودية تمركزوا في بابل، وتناموا في القرن الثامن بعد الميلاد. هذه الفرقة رفضت **التلمود**، وقبلت العهد القديم بوصفه مصدراً وحيداً للاحتجاج الشرعي، وقد ازدهرت هذه الطائفة في غضون القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر من الميلاد، وأثارت الربانيين للدفاع عن الشريعة الشفوية (**التلمود**)، ولا تزال هذه الطائفة باقية مع شيء من التأثير".[11]

---

5 المقريزي، **خطط المقريزي** ج3، ص507.

6 العميد عبد الرزاق محمد أسود، **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب** (بيروت: دار المسيرة، ط1، 1401هـ/ 1981م) ج1، ص190.

7 د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص95.

8 Mircea Eliade, *The Encyclopedia of Religion,* vol. 1, pp.254.

9 المقريزي، **خطط المقريزي**، ج3، ص507 .

10 المصدر السابق، ج3، ص507.

11 William L. Reese, *Dictionary of Philosophy and Religion,* New Jersey: Humanities Press, 1996, p.377.

تاريخ العانانية

المتأمل في ترجمة المعاصرين للعانانية يجد أن هناك حلقة مفقودة في تاريخ ظهور هذه الطائفة، فكثير منهم يؤرخ لها ابتداءً من إجراء انتخابات رأس الجالوت ببابل، وتفضيل اليهود أخا عانان المسمى حنانيا "*Hananiyah*" لتسلم هذا المنصب، لكن المقريزي أرّخ لها من الجذور، وذكر أن اليهود بعد عمارة البيت الثاني إثر تخريب بختنصر اختلفوا اختلافاً كبيراً، فخرجت طائفة من آل داود من بيت المقدس متوجهة إلى الشرق، وأخذوا معهم نسخاً من "**المشنا**"[12] التي كتبت للملوك من مشنا موسى التي بخطه، وقدم عانان رأس الجالوت إلى العراق سنة 136هـ، وبقيت الطائفة في القدس مختلفة مفرقة حتى غزاهم طيطس، وخرب القدس الخراب الثاني، وغيب نسخ **المشنا** التي كانت عندهم، بحيث لم يبق معهم سوى **التوراة** وكتب الأنبياء. ثم إن رجلين يقال لهما : شماي وهلال نزلا مدينة طبرية، وكتبا كتاباً سمياه مشنا، وضمناه أحكام الشريعة، ووافقهما عدة من اليهود. ومات شماي وهلال ولم يكملا **المشنا**، فأكمله رجل منهم يعرف بيهودا من ذرية هلال، وحمل اليهود على العمل بما فيه، وبعد خمسين سنة من تأليف هذا **المشنا** قامت طائفة من اليهود يقال لهم "السنهدرين" وتصرفوا في تفسيره برأيهم، وعملوا عليه كتابا اسمه " **التلمود**" زادوا فيه أحكاما من رأيهم، "والعمل إلى اليوم على هذا **التلمود** عند فرقة الربانيين، بخلاف القرائين، فإنهم لا يعتقدون العمل بما في هذا **التلمود**، فلما قدم عانان رأس الجالوت إلى العراق أنكر على اليهود عملهم بهذا **التلمود**، وزعم أن الذي بيده هو الحق، لأنه كتب من النسخ التي كتبت من مشنا موسى عليه السلام الذي بخطه، وطائفة الربانيون ومن وافقهم لا يعولون من **التوراة** التي بأيديهم إلاّ على ما في هذا **التلمود**، وما خالف ما في **التلمود** لا يعبأون به ولا يعولون عليه".[13]

ويبدو أن هذا السبب أدى إلى رفض انتخابه من قبل اليهود رئيساً للجالوت "*Exilarch*"، الأمر الذي أدى إلى انتخاب أخيه الحاخام حنانيا. وتذكر المصادر التاريخية أن الخليفة أبا جعفر المنصور (ت158هـ/ 775م) أودع عانان في السجن

---

12 لمعرفة المزيد من التفاصيل حول (**المشنا**) راجع: د.عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص 83-86.

13 المقريزي، **خطط المقريزي**، ج3، ص504-505.

وحكم عليه بالإعدام، فنصحه صاحبه في السجن الإمام أبو حنيفة بأن يتذرع إلى الخليفة، ويلتمس منه عذرا للإفراج عنه، فقد أرشده إلى تقديم نفسه وأتباعه بوصفهم فرقة دينية مختلفة عن الربانيين، لها حق انتخاب رأس الجالوت، فاتبع عانان ما نصحه به، فأطلق سراحه.[14] وسمح له بالمعيشة في فلسطين هو وأتباعه من اليهود.[15]

وتجمع المصادر التاريخية على أن عانان كان من نسل داود، وأنه كان عالماً كبيراً من علمائهم، فقد جمع بين كونه من طبقة أرستقراطية دينية، وكونه ذا ثقافة واسعة هيأته لأن يكون قائد الطائفة، فقد كان أول من صاغ قانوناً علميّاً شاملاً للطائفة، مؤسسا على **التوراة** وحدها عرف بـ *"Sefer ha-mistvot"*، وهو عبارة عن موجز من صياغة قانونية للتوراة، من غير هجوم على عقيدة الربانيين وقانونهم.[16]

وعلى الرغم من أن العانانية لا يقبلون نسبتهم إلى العهود المتأخرة، ولا يرون أنفسهم قد انشقوا عن الخط اليهودي العام المستقيم، بل يرون أنفسهم امتداداً حقيقيّاً للشريعة الموسويّة،[17] فإن الباحثين ذكروا أسباب انشقاقهم وخروجهم على الخط العام، وأعادوا ذلك إلى أسباب عامة وخاصة.

فأما الأسباب العامة فيمكن اختزالها في عاملين اثنين:

أولاً: خضوع بني إسرائيل عامةً للهيمنة الأجنبية، وما كان يصاحب ذلك من عمليات تهجير قسري عام، واضطهاد ومعاناة، جعلتهم يتخذون سبلاً شتى من أجل تحقيق أحلامهم وآمالهم، مما أسفر عن ظهور مذاهب سياسية ودينية تختلف في وسائلها وإعرابها عن نفسها من حين لآخر.

ثانياً: تأثير الثقافات الأجنبية التي كانوا يعيشون تحت سيطرتها المباشرة، وتعدد تلك الثقافات بسبب عمليات التهجير الجماعي، مما اضطرهم للدخول في عملية تبادل ثقافي مع بيئات وثقافات متعددة ولّدت نزعات مختلفة في بنيانهم الفكري النظري والعملي.[18]

---

[14] Mircea Eliade, *The Encyclopedia of Religion*, vol. 1, pp.261.

[15] العميد عبد الرزاق، **المدخل إلى دراسة الأديان**، ص190.

[16] See: James Hasting, *Encyclopedia of Religion and Ethics*, Newyork: Edinburgh, vol.11, p.662.

[17] انظر: العميد عبد الرزاق، **المدخل إلى دراسة الأديان**، ص190.

[18] انظر: د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص91-92.

وأما الأسباب الخاصة فيمكن إجمالها في عاملين، هما:

الأول: سبب داخلي يعود إلى الخلافات الكامنة بين اليهود أنفسهم، لا سيما فيما يعود إلى قضية صحة عزو الكتب المنسوبة إلى الشريعة الموسوية، فقد كان غموض أمرها والشك في مرجعيتها الشرعية والتاريخية سبب انشقاقات عقدية وقانونية بين اليهود أنفسهم، وما انشقاق العانانية عن الربانيين وإنكارهم **التلمود** إلا مظهر من مظاهر الاختلاف حول أخطر مسائل الدين المتعلقة بهوية هذه المصادر التشريعية.

الثاني: سبب خارجي تمثل في ظهور الإسلام وتعاظم سلطانه الذي امتد ليشمل منطقة الشرق القديم بأكملها في بضع سنين.[19] فقد أدى التأثر بالحضارة الإسلامية الغالبة إلى ظهور أصداء دينية داخل اليهود مؤذنة بولادة مفاهيم أصولية، وأخرى ثقافية، نتجت عن التأثر بتلك البيئة الحضارية والتلاقح الفكري والثقافي مع نسيجها الفكري والحضاري.

لقد كان السبب الديني دافعاً قويّاً رئيسيّاً في ولادة هذا الانشقاق، حيث إن العانانية وجدوا في **التلمود** أداة لمخالفة التعاليم الموسوية الثابتة، لا سيما أنهم كانوا يدعون إلى نسخة **المشنا** التي توارثوها عن أجدادهم، ورأوا أن فيها الحق الذي لا مندوحة عنه، ولقد وجدوا **الجيمارة** من مظاهر التحريف والزيادة على تعاليم موسى، لذا لم يترددوا في رد هذا **التلمود** الذي رانت عليه الزيادات والتغيرات بتطور الزمان، ولجأوا إلى حروف **التوراة** باعتبارها المصدر الصافي الوحيد الذي فيه خلاص اليهود وكفالة اتصالهم بكلمات الإله الحق.[20]

وليس هذا الخلاف وليد السبب الديني فقط، بل هناك أسباب سياسية واجتماعية واقتصاديّة نشأ عنها الانشقاق العاناني.[21]

ولقد أعاد الربانيّ اليهوديّ إلياهو بن إبراهيم *(Eliyyahu ben Avraham)* انشقاق عانان إلى خيبة أمله التي نتجت عن عدم انتخابه رأس الجالوت ليهود العراق في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، وعن تعامل اليهود معه بوصفه من الهراطقة أو المشبوهين المنحرفين، الأمر الذي أدى بعانان إلى إعلان نفسه رئيسا للمنشقين من

---

19 انظر: د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص94.

20 Mircea Eliade, *The Encyclopedia of Religion,* vol. 8, pp. 254.

21 المصدر السابق.

أتباعه، مما نجم عنه انفلاق النواة الأولى لما سمي أخيرا بـ"القرائين".[22]

ويرى فريق آخر أن سبب ذلك هو تأثره بتعاليم اللاتلموديين السابقين كالصدوقيين وأسماء أخرى ظهرت في البلاد النائية عن مركز عاصمة العراق. ثم انتقلت حركتهم إلى أهالي العاصمة من اليهود، وشهدت ازدهارا في طبقات المجتمع الكادحة من أصحاب الحرف والفلاحين، نتيجة شعورهم بضغوطات دينية من قبل الربابنة والبيروقراطيين الذين حملوهم ما لا يتحملونه، وأثقلوا كواهلهم بما لا طاقة لهم به من الضرائب، بغية إعالة أنفسهم وصيانة العقيدة الربانية.

وفي حين نجد أن الباحثين المعاصرين أشادوا بأهمية تلك العوامل ودورها في ولادة هذه الفرقة إلاّ أنهم نبهوا على ضرورة إدراك أن قناعات عانان الذاتية أدت دور الريادة في تفجير القضية، حيث كان عالماً يهوديّاً ثقفاً، صاحب قناعة ذاتية وفكر مستقل.[23] فإيمان عانان بأن اليهود شعب الله المختار، وتمنيه جمع اليهود المنتشرين المشردين في الدنيا، تحت ظلال دولة مستقلة في الأرض المقدسة، مع ما كان يلاحظه في بيئته من اضطهاد ديني من قبل اليهود أنفسهم، نتيجة كون إدارتهم من قبل طبقة دينية أرستقراطية إليها يعود أمر التشريع*(Codification)* والتفسير*(Interpretation)* وتطوير الموروث الرباني التقليدي، والقضاء في الدعاوى والخصومات، مع فرض ضرائب على الطبقات الكادحة من المجتمع اليهودي، إلى جانب أداء الجزية إلى الدولة الإسلامية، هذا فضلاً عما كان يراه بعينه من اتساع نفوذ الإسلام، وانفساح رقعته، حيث الانتشار السريع، والفتوحات الخاطفة للأبصار، والاستيلاء الغانم على الدولة البيزنطية والفارسية، وهجرة اليهود جماعات وأفراداً إلى مواطن الشيعة، كل ذلك أرهق أعصابه، وولّد فيه دعوة إلى إعادة قراءة الموروث الموسوي، ونبذ السلطات الجانبية العائقة التي تقف أمام تطور المجتمع اليهودي، ترهق كامله بالمشكلات والمساوئ.[24]

وفي بدايات القرن العاشر الميلادي توسعت الطائفة المنشقة من مهدها الإيراني ـ العراقي لتنتشر في فلسطين، وسوريا، ومصر في صور جماعات متنازعة متناثرة،

---

[22] المصدر السابق.

[23] المصدر السابق، ص262.

[24] المصدر السابق، ص254.

وتنامى نفوذهم بمرور الأيام وبالتفاعل مع المجتمع اليهودي في معظم المستوطنات. وقد كانت العلاقات في البدايات الأولى بين الطائفة المنشقة والربابنة باقية، وإن لم تكن ودية مؤثرة فقد كانت علاقات حيادية من غير تحيز، إلى أن جاء الرباني المشهور بسعدايا الفيومي (892-942م) وقام بالرد على القرائين، كما هو واضح في كتابه المعروف **الأمانات والاعتقادات** ورسالته الثانية **الرد على المتحامل**،[25] ورسائل أخرى شنّ فيها هجوماً جدليّاً عنيفاً على هذه الطائفة، وأدانهم، وحكم عليهم بالهرطقة، والخروج عن الكنيس الأم *"Mother Synagogue"*. وقد أدت مناقشاته الحاسمة الفاصمة إلى حدوث تمايز وانفلاق نواة أولية للاعتزال التام، والانفصام الجماعي الكامل بين الطائفة والجماعة الأم، وانكسرت بذلك عظام الوحدة إلى غير التئام.[26]

وهذا بدوره أدى إلى نتيجتين حاسمتين في تاريخ هذه الطائفة، وهما كالآتي:

- تحول القرائين إلى أقلية دينية صغيرة تواصل حياتها في تركيا وشبه جزيرة القرم ومصر التي هاجروا منها أخيرا إبان حرب السويس بعد عام 1957م، الأمر الذي أدى إلى انصهارهم في بوتقة الطوائف والقوميات الأخرى، فيتحدث أبناؤهم في شبه جزيرة القرم لغة تركية قديمة، ويتشابهون في الملبس والعادات والعوائد بالشعوب التركية، وبقيتهم الباقية في فلسطين قرب الرملة وتل أبيب، ويقدر عددهم بعشرة آلاف نسمة،[27] وذلك نتيجة الصعوبة التي لاقتها الطائفة في نشر الدعوة بين الربابنة، والانكماش الملحوظ في عدد المستجيبين، وفشل الطائفة في إقناع إخوانهم الربابنة بالعودة إلى العقيدة الموسوية الخالصة.[28]

- ولادة الأدبيات القرائية المستقلة في مجالات علم الكلام، والفلسفة، وتفسير **التوراة**، وفقه اللغة العبرية، مع أدبيات أخرى سجلوا فيها ردودهم على انتقادات سعدايا الفيومي على مستوى كافٍ وشافٍ من الناحية العلمية. وبذلك ازدهرت أكاديميتهم في القرن الحادي عشر الميلادي، وقدمت الطائفة دراسات متقدمة، وربّت جيلاً من الطلبة القرائيين، كل ذلك تحقق لهم في مدة وجيزة شبهت بمدة ازدهار الأدبيات الإسلامية في

---

[25] انظر: د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص95.

[26] Mircea Eliade, *The Encyclopedia of Religion,* vol. 8, pp. 255

[27] انظر: عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص 95-96.

[28] Mircea Eliade, *The Encyclopedia of Religion,* vol. 8, pp. 255.

الأندلس، وسميت بالعهد الذهبي للقرائين،[29] بل بدأ هذا الخلف القرائي ينتقد عانان بن داود في استعارته كثيراً من تعاليم الربابنة، ويعيب عليه ذلك.[30]

ويرى معظم الباحثين المعاصرين من اليهود أن نشاطات القرائين تمثل بداية الحركة العلمية التي استهدفت تدوين علوم اللغة العبرية وقواعدها، وحاولت تفسير **التوراة** في قضاياها اللاهوتية.[31]

ويبدو أن هذه الطائفة بما اتخذته من منهج حُرّ فتحت باب الاجتهاد والرأي واسعاً أمام معتنقي فكرتها، فتجد تطورات نوعية تحدث بين الفينة والأخرى، مما يدل على أن هذه المذهبية كانت منفتحة على مختلف الآراء، وعلى نقد داخلي قوي، فبعد انتقال أبناء عانان إلى مصر، ومباشرتهم رئاسة الجالوت هناك، وقيام ابنه ساول (*Saul*) وحفيده جوسيه (*Josiah*) بنشر تعاليم عانان، نجد تحولاً كبيراً في جسم الطائفة حدث على يد بنيامين بن موسى النهاوندي صاحب كتاب **الفرائض والأحكام**. وقد كان النهاوندي تلميذاً لجوسيه، فطوّر تعاليم الطائفة تطويراً عُرِفت به الطائفة، حتى عرفت بين المسلمين بأصحاب عانان وبنيامين، بل اعتقد البعض أن له طائفة خاصة تسمى بـ(البنيامينية). ففي حين أن عانان كان يكتب بالآرامية كان بنيامين يكتب بالعبرية، وفي حين أن الأول كان يتلقى من تعاليم الربابنة في القانون قسطاً كبيراً كان الثاني يعتمد على نصوص **التوراة** ويفسرها تفسيراً حرفيّاً، ومن هنا وصفوا منهجه بأنه كان أكثر دقة وضبطا من سابقيه، وبأنه وضع قيودا أشد من قيود عانان في تفسير حروف **التوراة**، ومن ذلك اعتقاده بأن الذي أوحى إلى موسى وكلمه وأرسل الرسل لم يكن الإله ذاته، بل ملكا من الملائكة، آخذا هذه النظرة من نصوص توراتية عديدة، وكذلك اختلافه عن عانان في حساب الأشهر، ففي حين كان عانان كان يعتمد الهلال في حساب كل الأشهر، نجد أن بنيامين قصر ذلك على شهري نيسان وتشرين فقط، أما الأشهر الأخرى فيتم الاعتماد في معرفتها على الحساب.[32]

---

29 المصدر السابق.

30 المصدر السابق، ج1، ص262.

31 المصدر السابق.

32 المصدر السابق، ج11، ص663-664.

وجاء تلميذ بنيامين المشهور: دانيال بن موسى الدامغاني من (طبرستان) في نهايات القرن التاسع الميلادي، وكان معجباً بعانان إعجاباً شديداً، ووصفه بأنه (رأس الحكمة)، ثم انقلب عليه وأسماه بـ(رأس الغباء)، وعارض أستاذه النهاوندي في اعتقاده بوجود الملائكة، واعتماده المجاز في تفسير نصوص **التوراة**.[33]

المذهب العقدي والتشريعي للعانانية (القرائين)

يمكن إجمال التعاليم الأساسية التي تتميز بها هذه الطائفة عن غيرها من اليهود، وتشكل الملامح الأساسية، والمعالم الرئيسة لهم، في الأمور الآتية:

1 ـ رفض الشريعة الشفوية والتمسك بظواهر النصوص

يعتمد اليهود الربانيون على مصدرين في التشريع، هما: الشريعة المكتوبة (**التوراة**)، والشريعة الشفوية (**التلمود**)، وجاء عانان بن داود فأنكر الشريعة الشفوية ورفض الاعتراف **بالتلمود** بوصفه مصدرا فقهيّاً يفيد التشريع والتقنين، واعتبر ما في هذه الشريعة الشفوية أموراً مبتدعة وغير ملزمة *(Human Fabrication)*، مع التشدد في الالتزام بحرفية نصوص **التوراة** فقط. وكان شعارهم الجامع "اقرؤوا **التوراة** واتركوا **التلمود**".[34]

وقد أشار المقريزي في خططه إلى ذلك فقال: "وهم يحكمون نصوص **التوراة**، ولا يلتفتون إلى قول من خالفها، ويقفون مع النص دون تقليد من سلف... ويقال لهم أيضا (الأسمعية)، لأنهم يراعون العمل بنصوص **التوراة**".[35]

وقد أدى الخلاف في هذه المسألة بالذات إلى اعتزال عانان وأتباعه الربانيين، "فقد حرم عانان الزواج أو الدخول في علاقات زوجية مع الربانيين، وبالمقابل فقد حرم الربانيون الزواج منهم، وإذا وقع عَدُّوه زنا، واعتبروا الطفل المولود من هذا الزواج طفلاً غير شرعي لا ينتمي إلى شعب الله المختار، باعتباره نجساً".[36]

وقد أصبح التمسك الحرفي بظواهر النصوص وتحريم التأويل فيها ـ فيما عدا آيات المتشابهات ـ علامة تميزهم من سائر اليهود، ومن هنا كانت تسميتهم بأهل النص والحرفيين، ومثال ذلك: تحريم العمل في السبت وقوفا عند ظاهر النص الوارد في **التوراة** (سفر الخروج:

---

33 انظر: المصدر السابق، والشهرستاني، **الملل والنحل**، ج2، ص242-241 .

34 انظر: د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص96.

35 المقريزي، **خطط المقريزي**، ج3، ص507.

36 د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص97، وقارن بـ: المقريزي، **خطط المقريزي**، ج3، ص507.

3/35): "كل من يعمل يقتل"، فلا يجوز عندهم الخروج من الدار أو الانتقال أو الحركة داخل البيت من غرفة إلى أخرى أو غسل الوجه أو لبس المعاطف والأحذية سوى لبس القميص. وعملا بنص **التوراة** القائل: "فإني أنا الرب شافيك" (سفرالخروج:26/15) منعوا التداوي في الحالات المرضية، واعتبروه تدخلا في إرادة الله وقدره.[37]

وقد حاول الباحثون أن يجدوا لهذه الفكرة مرجعية تاريخية يمكن القول بأن عانان قد استقى رأيه منها، فحاولوا ربط هذه الظاهرة بكل من الدائرتين الدينيتين: الإسلامية واليهودية. وذلك لكونه يهوديّاً نشأ في بيئة دولة إسلامية.

وقد ربط بعض الباحثين هذه الظاهرة بالدائرة اليهودية نفسها، فالصدوقيون سبقوا العانانية في إنكار الشريعة الشفوية، فالطائفتان متشابهتان في هذه الناحية، وكذلك في تمسكها الحرفي بنصوص **التوراة**، بل كانت الطائفة الصدوقيّة أكثر تشددا من العانانية، حيث رفضوا الاجتهاد والقياس أيضاً، في حين أن العانانية تمسكوا بالقياس ولجأوا إلى الاجتهاد.[38]

لكن الأمر الوحيد الذي يمكن أن تختلف فيه الطائفتان هو أن الدافع إلى رفض الصدوقيين للتلمود وتمسكهم بالنصوص تمسكاً حرفيّاً كان التوسل بذلك للحفاظ على مكانتهم الأرستقراطية، ومراكزهم السياسية ومصالحهم الدنيوية، حيث إنهم كانوا يمثلون الطبقات الأرستقراطية، وموضع ثقة الأغنياء، فحتى لا تكون نصوص الدين عرضة لتفسير الطبقات الأخرى بما يخدم مصالحها منعوا الاجتهاد ودعوا إلى التمسك الحرفي بنصوص **التوراة**. بينما الدافع وراء فكرة العانانية لم يكن الحفاظ على مكانة عانان الأرستقراطية، وإنما إيماناً منه بأن **التلمود** نسب إلى موسى كذباً وزوراً. وقد تكون هناك دوافع ومؤثرات أخرى.

ويرى ميكائيل كوك إعادة الظاهرة إلى التأثر بهراطقة الإسلام الذين رفضوا العمل بالشريعة الشفوية (السنة النبوية)، ورأى أن إعادتها إلى الظاهرة المثيلة عند الصدوقيين محل شك ونظر.[39]

---

[37] انظر : د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص97.

[38] يقول الدكتور أحمد شلبي: "ينكر الصدوقيون كذلك التعاليم الشفوية (**التلمود**)" د. أحمد شلبي: **مقارنة الأديان: اليهودية** (د. ن، ط5، 1978م) ج1، ص203. ويقول الدكتور عرفان عبد الحميد: "الذي يجمع الصدوقيين جملة أمور، منها:... رفض العمل **بالتلمود**، لاعتقادهم الصارم بأن السبيل الوحيد لحفظ الدين هو التمسك الحرفي الشديد بأحكام التوراة المدونة ووجوب فرضها بالكامل". د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص103، وعليه فإنه يمكن القول بإرجاع الظاهرة عند العانانية إلى مثيلتها عند الصدوقيين.

[39] Michael Cook, *Anan and Islam*, p.161.

وقد طُرِحت مرجعيات إسلامية عديدة لهذه الظاهرة، فكراتز *Gratez* اتجه إلى إعادتها إلى إنكار الشيعة للسنة النبوية، حيث قال: "من المحتمل أن يكون قد نتج صراع عانان مع الشريعة الشفوية عن تأثره بالمنافسة الشديدة بين المذاهب الدينيّة في العالم الإسلامي، ففي مقابل الفكرة السائدة لأهل السنة والجماعة القائلين بشرعية الشريعة الشفوية (السنة) نجد الشيعة يعارضون هذا التوجه، ولا يؤمنون إلاّ بالقرآن. وتأثرا بهذا الاتجاه رفض عانان الشريعة الشفوية المجموعة في **التلمود**".[40]

لكن هذا التوجه يمكن انتقاده من حيث إن الشيعة لم يعرفوا بالالتزام الحرفي بالنص القرآني، و لم يعرفوا كذلك بإنكار السنة، ولذلك نجد فريدلندر *(Friedlaender)* يعارض هذا التوجه، ويقول: "إن معارضة الشيعة للسنة لم تكن نابعة من إنكار سنة محمد ﷺ بقدر ما كانت تنبع من الإنكار على صحابته حاملي السنة، لذا فإن الشيعة تقبل روايات علي وآل البيت، فمن الخطأ أن نعتبر الشيعة معارضين للسنة على الإطلاق.[41]

ومن هنا عدّ فريدلندر ظاهرة رفض **التلمود** عند العانانية حركة داخلية لم تتأثر بالظروف الإسلامية، لأن التاريخ الإسلامي لم يشهد طائفة تعارض السنة على الإطلاق والعموم.[42]

لكن الناظر إلى ردّ الشيعة لسنة النبي ﷺ الموروثة عند أهل السنة والجماعة، ورد العانانية **التلمود** مع دعوتهم إلى نسخة **المشنا** التي عندهم دون غيرهم ـ كما ذكر المقريزي في الخطط ـ[43] قد تبدو له خيوط التشابك بين الظاهرتين، حيث إن العانانية على هذا التقدير لم تقتصر على حجية **التوراة** فقط، بل تمسكت **بالمشنا** الموروث عندهم، فالظاهرتان تتشابهان إلى حدّ بعيد، لكن نقطة الاختلاف تكمن في إضافة مزية الحرفية والتمسك الظاهري بالنصوص عند العانانية. وإذا أخذنا بعين الاعتبار هذا العنصر كانت إعادة الظاهرة إلى الصدوقيين أولى من إعادتها إلى الشيعة.

وقد أكد الأستاذ ميكائيل أن رفض السنة والتمسك الحرفي بالكتاب لم يكن ظهر في الإسلام في صورة دعوة جماعية تؤدي إلى بروز فرقة خاصة، و لم يكن ذلك معلماً ثابتاً في

---

40 المصدر السابق، ص162.

41 المصدر السابق، ص161.

42 المصدر السابق.

43 انظر: المقريزي، **خطط المقريزي**، ج3، ص505-504.

الساحة الإسلامية، فبعد القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي لا يلاحظ وجود هذه الدعوة في التاريخ الإسلامي، بل ـ على خلاف ذلك ـ خلص المعاندون المعارضون للسنة الحرفيون في تطبيق الكتاب إلى الخضوع للتقاليد العامة السائدة في الالتزام بالسنة.[44]

2 ـ التعنت والتشدد في أداء الطقوس والالتزامات الدينية

يتميز القراؤن بمزية أخرى قريبة من المزية الأولى، بل هي بمثابة الجانب التطبيقي لها، وهي التشدد والتنطع في أداء الطقوس والعبادات والالتزامات المستفادة من ظاهر نصوص **التوراة**،[45] وهذه مزية كل طائفة تدعو إلى السلفية الدينية، وتحارب الانكفاء على التقاليد الموروثة المتراكمة على التطبيقات العملية للنصوص الشرعية.

ومن مظاهر هذا التعنت ما يأتي:

ـ قال الشهرستاني: "العانانية.. يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد، ويقتصرون على أكل الطير والظباء والسمك، ويذبحون الحيوان على القفا".[46]

ـ خالفوا اليهود في هيئة التوضؤ.[47] فالاستنجاء يتخلل أركان الوضوء عند عامة اليهود، لكن نقل المقريزي عن العانانية مخالفة اليهود في ذلك، فقال: "يتوضأون، ولا يمسحون رؤوسهم في وضوئهم ويبدأون بالرجل اليسرى، وفي شيء منه خلاف بينهم، وعانان يرى أن الاستنجاء قبل الوضوء، ويرى أشعث أن الاستنجاء بعد الوضوء... والنوم قاعدا لا ينقض الوضوء عندهم، ما لم يضع جنبه الأرض إلا العانانية، فإن مطلق النوم عندهم ينقض".[48]

ـ كان الربانيون يعتمدون الحساب في معرفة الأشهر، وخالفتهم العانانية، فاستعملوا الشهور برؤية الأهلة.[49] وهذا الخلاف بدوره أدى إلى مخالفة عامة اليهود

---

[44] Michael Cood, *Anan and Islam*, pp.162-174.

[45] انظر: د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص97-98.

[46] الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج2، ص238.

[47] وهي: أن يغسل المتوضئ يديه ثلاثا، ثم وجهه ثلاثا، ثم ذراعيه غسلة واحدة، ثم يستنثر ويستنشق بيده اليسرى، ثم يغسل يديه ثلاثاً، ثم يتمضمض ثلاثاً، ثم يغسل يده دفعة واحدة، ثم يستنجي استنجاءً نظيفاً، ثم يغسل قدميه إلى فوق الكعبين مبتدياً باليسرى، ثم يغسل يديه ثلاثاً، وقد تَمّ وضوؤه. انظر: د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص129، الهامش.

[48] المقريزي، **خطط المقريزي**، ج3، ص511.

[49] قال المقريزي: "... قدم عانان رأس الجالوت من بلاد المشرق، في نحو الأربعين ومائة من الهجرة، إلى دار السلام بالعراق، فاستعمل الشهور برؤية الأهلة على مثل ما شرع في الإسلام، ولم يبال أي يوم وقع من الأسبوع، وترك حساب الربانيين". المقريزي، **خطط المقريزي**، ج3، ص511.

في كثير من أعيادهم ومناسباتهم الدينية.[50]

3ـ الدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد

لقد لخص عانان مبدأ الدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد بقوله: "فتش في النصوص بدقة ولا تعتمد على رأيي".[51]

ومن هنا إذا تبين للخلف خطأ السلف نقضوا رأيهم اتبعوا اجتهادهم الجديد. ومن هذه الأخطاء التي لاحظها المتأخرون وصححوها: خطأ تحليل بنت امرأة الأب مع وضوح تحريمها بنص آيات المحارم.[52]

وقد جاءت دعوة عانان إلى الاجتهاد مثل كل حركة تريد إحياء السلفيّة في التوجه الديني، وتحاول القفز على التراث البشري، للتعامل المباشر مع النصوص. فالدعوة إلى الاجتهاد جاءت مقترنة بالدعوة إلى رفض الشريعة الشفوية (**التلمود**) باعتباره تراكماً بشريّاً قابلاً للخطأ، والاعتماد على النصوص التوراتية باعتبارها المصدر الأول للتشريع. فبتجاوز ظاهرة "التقليد" يمكن تجاوز النسيج الثقافي الذي تراكم على مفاهيم الدين تراكما معقدا لا يمكن تهذيبه وتشذيبه إلا بالخلاص منه. والدليل على أن دعوة عانان إلى الاجتهاد جاءت وليدة نبذ **التلمود** أن الفريسيين مع ما اتسموا به من جرأة في تفسير **التوراة**، وما وصفوا به من الثورية ومحاربة الأرستقراطية، حتى شبهوا باللبرالية الحديثة،[53] مع كل هذا لما أقروا **التلمود** بوصفه شريعة شفويّة لجأوا إلى منع الاجتهاد، وعمدوا إلى تقديس الحاخامات، وادعوا عصمتهم.[54] وقد أشارت الموسوعة الميسرة إلى هذا التشابك بين ظاهرة نبذ **التلمود** والدعوة إلى الاجتهاد، فقالت :" القراؤن... لا يخضعون للتلمود، ولا يعترفون به، بدعوى حريتهم في شرح **التوراة**".[55]

---

50 المصدر السابق، ج3، ص498-504، وقارن بـ: المسعودي، **كتاب التنبيه والإشراف** (ليدن: بريل، 1893م) ص219. و Mircea Eliade, *The Encyclopedia of Religion*, vol. 8, p. 258.

51 د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص97، و James Hasting, *Encyclopedia of Religion and Ethics*, vol. 1, p.662

52 انظر: د. أحمد شلبي، **مقارنة الأديان: اليهودية**، ج1، ص231.

53 انظر: أحمد عثمان، **تاريخ اليهود** (القاهرة: مكتبة الشروق، د.ط، د.ت) ص65 .

54 انظر: العميد عبد الرزاق، **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب**، ج1، ص191.

55 د. مانع الجهني (مشرفا)، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** (الرياض: دار الندوة، ط3، 1418هـ) ج1، ص503.

وقد أثير احتمال أن يكون عانان قد تأثر بفقهاء المسلمين الذين عاصروه، فقد نقلت المصادر اليهودية لقاءه بأبي حنيفة، ونصح أبي حنيفة له. والمعروف عن علمائنا أنهم كانوا ينهون عن تقليدهم، ويأمرون باتباع النصوص.[56]

والأمر الملفت للنظر أن دعوة عانان هذه لم تثمر ثمرتها المرجوة في أتباعه، فبعد موته صاروا يقدسونه كما يقدس سائر اليهود أحبارهم، حيث عدّوه قديساً، وجعلوا له دعاء خاصا يرددونه في صلواتهم.[57]

4ـ اتخاذ الإجماع والقياس مصدرين للتشريع

ورد في موسوعة الأديان أن المصادر التشريعية عند العانانية هي:

1ـ نصوص **التوراة** *The scriptural text*.

2ـ القياس *Analogy*.

3ـ الإجماع *The consensus of Scholarly opinion*.

ويكون الاعتماد على القياس عندما لا يسعف المصدران الآخران بالحكم الشرعي.[58]

وقد أعادوا اعتماد عانان هذين المصدرين إلى تأثره بالفقه الإسلامي، لا سيما إن عانان لقي أبا حنيفة، الذي أرشده إلى اعتماد القياس.[59]

ومن هنا فإن عانان قال بتحريم النكاح بسبب الرضاع بتناول سائر مشتقات اللبن قياساً على تحريمه بالارتضاع من اللبن[60] كما هو مذهب فقهاء المسلمين. وقاس على المحرمات المنصوص عليهن في **التوراة** جميع أصولهن وفروعهن (نزولاً وعلواً) كما هو مذهب الفقهاء.[61] ولا نجد أن عانان قد فرع مسائل فقهية على استدلاله بالإجماع، على غرار ما وجدناه في استدلاله بالقياس.

---

[56] لمعرفة ما أثر عن علمائنا في النهي عن تقليدهم، واتباع النص عند مخالفة رأيهم له، راجع :ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (د.ن، د.ط) ج2، ص260 وما بعدها .

[57] انظر: العميد عبد الرزاق، **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب**، ج1، ص191-190.

[58] Mircea Eliade, *The Encyclopedia of Religion*,vol. 8, p. 258.

[59] James Hasting, *Encyclopedia of Religion and Ethics*,vol. 1, p.663.

[60] Mircea Eliade, *The Encyclopedia of Religion*, vol. 8, p. 258.

[61] James Hasting, *Encyclopedia of Religion and Ethics*,vol. 1, p.663

وهنا يثار السؤال الآتي: هل كان عانان متأثراً في اتخاذ هذين الدليلين بالفقه الإسلامي أو كانت له مرجعية تاريخية داخل الدائرة اليهودية؟

وهنا نجد الباحثين يعزون اعتماد عانان على القياس إلى تأثره بالفقه الإسلامي. وهذا قد يجعلنا نقول: قد يكون القياس الذي اعتمده عانان شبيها بالقياس الإسلامي، حيث إن القياس بهذا التحديد الإسلامي وسيلة للتمسك بالنص الشرعي وعدم تجاوزه، لأن الحكم الثابت بالقياس فرع ثبوت علّة النص الشرعي المقيس على حكمه، لذلك لا نجد في القياس الإسلامي ما يبعث على الافتئات على النصوص، فعانان مع اشتهاره باعتماد النص حرفيّاً لم يتهم عند اتخاذه القياس بمخالفة نص أو تجاوزه، وهذا الاستعمال للقياس هو الذي ميّز مذهبه عن مذهب الصدوقيين النابذين للتلمود، حيث إن الطائفة الأخيرة رفضت وناهضت كل أمر لم يثبت بنص، باعتباره بدعة مستحدثة.[62]

واليهود لم تعرف "الإجماع" بالمعنى الإسلامي، وإنما عرفت في تاريخها نظام السنهدرين (*Sanhedrin*)، ومعناه: المجلس الأعلى لليهود. وهو نظام علمي مكون من هيئة من علماء اليهود، وقد نسبت مشروعيّة هذا المجلس إلى عهد موسى عليه السلام، ولكن ممارسته تعود إلى عهود لاحقة. ويختلف هذا النظام عن حقيقة "الإجماع" في الدائرة الإسلامية، نظراً لأن "السنهدرين" أشبه ما يكون بدائرة قضائيّة ـ دينيّة تبت الأمر في مسائل العقوبات والجرائم ولها حق تقرير القانون المدني. وتكون هذه الهيئة محصورة في عدد معروف من علماء اليهود المخولين من قبل السلطة. في حين الإجماع بالمعنى الإسلامي لا ينحصر في مجال القضاء، ولا في عدد معروف، ولا يمكنه أن يغير قانوناً ثابتاً من قوانين الشريعة. ولعل عانان اقتبس هذا النوع من الإجماع، واستبدل به نظام "السنهدرين"، لا سيما إذا علمنا أن نظام السنهدرين لم يكن إلاّ توكيدا للشريعة الشفويّة ونسبتها إلى موسى عليه السلام مع إمكان الإضافة عليها شرحاً وتعليقاً،[63] وهو أمر لم يكن عانان ليقصِد إليه أو يرنو إلى تثبيت دعائمه، بل كان يناهضه ويعارضه.[64] ثم إذا لاحظنا أن الإجماع في الدائرة الإسلاميّة كانت

---

62 انظر: د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص103.

63 انظر: د. أحمد حمد، **الإجماع بين النظرية والتطبيق** (الكويت: دار القلم، ط1، 1403هـ،1982م) ص 339-344، و Ahmad Hasan, *The Doctorine of Ijma' in Islam*, Pakistan/Islamabad: 1984, pp.209-214.

64 انظر: المقريزي، **خطط المقريزي**، ج3، ص505 .

مهمته الأساسية تمتين محتويات النّصّ الشرعيّ، ومنع تطرق سوء التأويل إلى دلالته، تبين لنا أن لجوء عانان إليه كان من أجل الحفاظ على منهجه الحرفي، ودعوته إلى التمسك بالظواهر، ومنع التأويل. كما لا يبعد أن يكون قد اتخذ الإجماع وسيلة للدعوة إلى جمع اليهود من شتاتهم، تستراً تحت اسم الإجماع، واختفاء وراء ظلاله.[65]

5ـ الإقرار بنبوة عيسى ومحمد وإنكار النسخ

اختلف مترجمو الطائفة في نسبة هذا المبدأ إلى عانان، فالشهرستاني (ت548هـ) عزا إليه القول بكون عيسى ومحمد من الصالحين.[66] وأتى المقريزي (ت1449م) فنسب إلى عانان القول بكون عيسى من الصالحين والاعتراف بنبوة محمد ﷺ.[67] وقد أشارت إلى اعترافه بنبوتهما جميعاً موسوعة الأديان، فجاء فيها:

"إن الاكتشافات الأخيرة عزت إلى عانان اعتباره كلاً من عيسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ نبيين موحى إليهما ومرسلين إلى قومهما خاصة".[68]

ومن هنا نجد القرائي الكبير أبا يوسف القرقساني يعد المسيحيين النصارى طائفة من طوائف اليهود. فقد ورد في موسوعة الأديان والطوائف متحدثة عن القرقساني: "إنه لمن المثير للاهتمام أن نجده يدخل النصارى ضمن فرق اليهود".[69]

وليست العانانية هي الفرقة الوحيدة التي أقرت بالنبوة لعيسى أو محمد عليهما السلام، فقد نقل الشهرستاني عن الموشكانية أنهم أثبتوا نبوة محمد ﷺ إلى العرب وسائر الناس

---

[65] James Hasting, *Encyclopedia of Religion and Ethics*, vol. 1, p.662.

[66] يقول الشهرستاني: "العانانية... يصدقون عيسى ـ عليه السلام ـ في مواعظه وإرشاداته. ويقولون: إنه لم يخالف التوراة ألبتة، بل قررها، ودعا الناس إليها، وهو من بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة، ومن المستجيبين لموسى عليه السلام، إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته. ومن هؤلاء من يقول: إن عيسى عليه السلام لم يدّع أنه نبي مرسل وأنه صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة. والإنجيل ليس كتابا منزلا عليه، ووحيا من الله تعالى، بل هو جمع أحواله من مبدئه إلى كماله. وإنما جمعه أربعة من أصحابه الحواريين، فكيف يكون كتابا منزلا. قالوا: واليهود ظلموا حيث كذبوه أولا و لم يعرفوا بعد دعواه، وقتلوه آخرا و لم يعلموا بعد محله ومغزاه، وقد ورد في التوراة ذكر (المشيحا) في مواضع كثيرة، وذلك هو المسيح، ولكن لم يرد له النبوة ولا الشريعة الناسخة. وورد (فارقليطا) وهو الرجل العالم، وكذلك ورد ذكره في الإنجيل، فوجب حمله على ما وجد، وعلى من ادعى ذلك تحقيقه وحده". الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج2، ص238-239.

[67] يقول المقريزي: "وأجمل القول في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وأثبت نبوة نبينا محمد ﷺ وقال: هو نبي أرسل إلى العرب، إلاّ أن التوراة لم تنسخ". المقريزي، **خطط المقريزي**، ج3 ، ص507.

[68] Mircea Eliade, *The Encyclopedia of Religion*, vol. 1, p.262

[69] James Hasting, *Encyclopedia of Religion and Ethics*, vol. 1, p.665

سوى اليهود لأنهم أهل ملة وكتاب، وهو منقول عن طائفة العيسوية أيضا.[70]

وضماناً لبقاء الدين اليهودي متمتعاً بالشرعية أنكر اليهود ـ بما فيهم العانانية والموشكانية والعيسوية ـ النسخ، حفاظاً على أبدية شريعة اليهود. ولذا خصصوا نبوة عيسى ومحمد عليهما السلام بأقوامهما دون اليهود. وقد جاءت مناقشة هذه الطوائف اليهودية التي اعترفت بنبوة نبينا محمد ﷺ وأنكرت النسخ في كتب أصول الفقه الإسلامي.[71]

هذا الذي سبق بيانه يشكل الدعائم الأساسية لهذه الطائفة عقيدة وشريعة، وهناك أفكار وعقائد أخرى يحسن الإشارة إليها. وذلك فيما يأتي:

- يميل القراؤن في مسائل القضاء والقدر إلى القول بالاختيار الإنساني وحرية الإرادة، خلافاً لما ذكره الشهرستاني: "الربانيون كالمعتزلة. والقراؤن كالمجبرة فينا".[72]
- نُسِب إلى القرائين الاعتقاد بتناسخ الأرواح، فقد ورد في موسوعة الأديان والطوائف أن القرقساني عزا إلى عانان الاعتقاد بتناسخ الأرواح وكونه قد مارس عمليات تصب في هذا المجال.[73]
- نقل المقريزي عن العانانية قولهم بالتوحيد والعدل ونفي التشبيه.[74] وذكر بعض الباحثين أن العانانية استخدموا لغة أهل الكلام من المسلمين في معارضة المجسمة

---

70 انظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج2، ص240.

71 يقول الآمدي (ت631هـ): "المسألة الأولى: في إثبات النسخ على منكريه، وقد اتفق أهل الشرائع على جواز النسخ عقلاً، وعلى وقوعه شرعاً، ولم يخالف في ذلك من المسلمين سوى أبي مسلم الأصفهاني، فإنه منع من ذلك شرعاً وجوزه عقلاً، ومن أرباب الشرائع سوى اليهود، فإنهم انقسموا ثلاث فرق .فذهبت الشمعونية منهم إلى امتناعه عقلاً. وذهبت العانانية منهم إلى امتناعه سمعاً لا عقلاً، وذهبت العيسوية إلى جوازه عقلاً ووقوعه سمعاً. واعترفوا بنبوة محمد ﷺ لكن إلى العرب خاصة لا إلى الأمم كافة". سيف الدين الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1404هـ) ج3، ص127). وبيّن مستند العانانية السمعي في إنكار النسخ، فقال: "زادت العانانية على هؤلاء فقالوا: قد ثبت أن موسى الكليم.. قد نقل عنه بالتواتر خلق من السلف أنه قال لقومه: هذه الشريعة مؤبدة عليكم لازمة لكم ما دامت السموات والأرض. فقد كذب كل من ادّعى نسخ شريعته وتبديل ملته. فلو قلنا إن محمدا ﷺ كان نبيّاً وإن شرعه ناسخ بطريق الصدق لـلزم أن يكون موسى الكليم فيما قاله كاذباً. وهو محال". سيف الدين الآمدي، **غاية المرام في علم الكلام**، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1391هـ) ج1، ص349. وأبو مسلم الأصفهاني الذي أنكر النسخ من المسلمين هو محمد بن بحر الأصفهاني (ت322هـ) فلا يعقل أن يكون قد التقى بعانان، لكن رأيه يشبه رأيه تماماً، حيث إن كليهما أجازا النسخ عقلاً، ومنعاه سمعاً.

72 د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص98، وانظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج2، ص233.

73 James Hasting, *Encyclopedia of Religion and Ethics*, vol. 1, p.663

74 انظر: المقريزي، **خطط المقريزي**، ج3 ، ص 510.

الربانيين، لا سيما في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، كما يلاحظ في أدبيات كل من دانيال الدامغاني وبنيامين النهاوندي.[75]

- انتقد القرائي سلمان بن إرهيم اعتقاد الربانيين بعذاب القبر مستندين إلى ما ورد في **التلمود** وأقره سعدايا، مما يدل على أنهم أنكروا عذاب القبر.[76] وقد أعاد بعض الباحثين ذلك إلى التأثر بالمحيط الاعتزالي في أول عهده، حيث أنكرت المعتزلة عذاب القبر، ثم تراجعوا عن ذلك، ونفوا أن يكونوا قد زعموا ذلك مطلقا.[77] فقد قال أبو الحسن: "سألت أبا علي عن عذاب القبر، فقال : سألت الشحام (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) فقال: ما منا أحد أنكره، وإنما يحكى ذلك عن ضرار".[78]

- نقل المقريزي عن المالكية من العانانية "أن الله تعالى لا يحيي يوم القيامة من الموتى إلاّ من احتج عليه بالرسل والكتب" وقال: "مالك هذا هو تلميذ عانان".[79]

نظرة تحليلية

بعد العرض المتقدم لمعتقدات العانانية ومنهجهم في التعامل مع الشريعتين المكتوبة والشفوية والطريقة التي اتبعوها في استنباط الأحكام العقديّة والتشريعيّة فإنه يجدر بنا أن نتوقف قليلاً أمام سؤالين اثنين مهمين، وهما كالآتي:

1 - هل الخلاف الذي نشأ بين العانانية والربابنة كان في جوهره عقديّاً أم أنه كان فقط في مجال التشريعات والعادات؟ لقد توصل بعض الباحثين إلى أن الخلاف بين الطائفتين لم يصل إلى المجال العقدي.[80] ويرى آخرون أن الخلاف العقدي الوحيد كان رفضهم للشريعة الشفويّة.[81]

ويبدو أن الخلاف لم يقتصر على جانب التشريعات والعادات فقط، وأن الخلاف العقدي بين الطائفتين لم ينحصر في رفض الشريعة الشفوية، وذلك للأدلة الآتية:

أ - إن العانانية إذا صح ما نقل عنهم من إقرارهم بنبوة عيسى ومحمد عليهما

---

[75] Michael Cook, *Anan and Islam*, pp.174-177.

[76] المصدر السابق، ص179.

[77] Michael Cook, *Anan and Islam*, pp.177-179.

[78] انظر: أحمد بن يحيى المرتضى، **كتاب طبقات المعتزلة**، تحقيق سوسنة ديفلر (بيروت: مكتبة الحياة، د.ط، د.ت) ص72.

[79] المقريزي، **خطط المقريزي**، ج3 ، ص511.

[80] انظر: د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص 97.

[81] Mircea Eliade, *The Encyclopedia of Religion*, vol. 8, p.257.

السلام، فإن المسألة هذه في حد ذاتها تمثل قضية من كبرى قضايا العقيدة، وهم في ذلك قد خالفوا الربابنة.

ب ـ لقد حرم العانانية والربابنة التزاوج فيما بين الطائفتين، ومعلوم أن الزواج لا يحرّم بين أهل دين واحد ذوي عقيدة واحدة. فالتحريم ذاته دليل على أن كلتا الطائفتين تمتعت بعقائدها الخاصة، وكفرت الطائفة الأخرى، فلئن كان تحريم التزاوج تشريعي الأثر فإنه في حد ذاته عقدي المنشأ.[82] فالخلاف إن لم يكن في أمور العقائد فقد أخذ منحى عقديّاً في أرض الواقع.

2 ـ ما المرجعية الثقافيّة والفكريّة التي انطلق منها عانان في بناء أسس مذهبه؟ وكيف تكيف حركته التغييرية؟

لقد برزت تفسيرات متعددة في ذلك، يمكن إجمالها كالآتي:

أ ـ إن عانان استقى من عقائد متعددة. ومن هنا فإن عقيدة العانانية مركبة، فهي خليط من مرجعيات دينيّة متعددة: يهوديّة، ومسيحيّة، وإسلاميّة. ويبدو هذا التزاوج واضحا إذا لاحظنا أن العانانية يعتمدون في تحديد مواقيت الأعياد والمناسبات على الرؤية المباشرة لمولد الهلال، ويخلعون الحذاء عند الدخول إلى الكنيس، وتركوا الالتزام بارتداء "التفلين" وتعليق "المازوزة" على مداخل البيوت، ويعتقدون بتناسخ الأرواح. فهذه الأمور وإن لم يكن بعضها عقديّة إلا أنها أخذت من مرجعيات عقدية أخرى.[83]

ب ـ إن عانان لم يتأثر بمرجعيات دينية أخرى، وإنما انطلق في عقيدته وأفكاره من قناعة ذاتية داخلية. فإذا كان رفض **التلمود** ركيزة أفكاره، فإن الصدوقيين أيضاً رفضوا العمل **بالتلمود** والتزموا بنصوص **التوراة** التزاماً حرفيّاً. وبهذا التحديد تكون حركة عانان التغييريّة شبيهة بالحركات الإصلاحيّة البروتستانتية في المسيحيّة من حيث إنهما جميعا أكدتا ضرورة العودة إلى التمسك بالنصوص وفتح الباب للاجتهادات والآراء الجديدة بما يساير تطورات الزمان ومستجداته. لكن الذي ينقص هذا التفسير أن عانان استقى دليل الإجماع والقياس من الفقه الإسلامي، وكانت حركته على خلاف الحركة الإصلاحيّة التي أخذت بمبدأ التيسير والتخفيف من وطأة التعاليم

---

82 راجع: د. عرفان عبد الحميد، **اليهودية**، ص124-129.

83 انظر: المصدر السابق، ص98.

الدينيّة، فعانان جعل الديانة اليهوديّة أشدّ عسراً من دين الربابنة وتعاليمهم.

ج ـ لقد مزج عانان بين التعاليم التوراتيّة والمنهجيّة المعرفيّة في الدائرة الإسلاميّة. فكانت نصوصه الشرعيّة من **التوراة**، ومنهجيته المعرفيّة من دائرة الإسلام. ومن هنا تعددت الأقوال واختلفت التفاسير في تحديد نوعية المنهجيّة التي اتبعها عانان وتأثر بها: هل هي منهجية أهل السنة والجماعة أو منهجية الهراطقة (الزنادقة) أو منهجية الحرفيين... إلخ؟

والذي ينبغي ملاحظته في هذا الصدد أن الحكم على أفكار هذه الطائفة وعقائدها لا يستقيم دون الأخذ بالاعتبار جميع المكونات والمبادئ الأساسية للطائفة، فلا ينبغي الانطلاق من ظاهرة معينة للحكم على مجموع الظواهر الأخرى.

وأول ما ينبغي النظر إليه وملاحظته أن قطب رحى معتقدات الطائفة اعتقادهم بالشريعة المكتوبة فقط دون **التلمود**، وهذه الظاهرة الفكريّة قبل ردها إلى مرجعيات دينية أخرى ينبغي مقارنتها بمذهب الصدوقيين في هذا الشأن داخل الدائرة اليهودية نفسها، حيث إن الصدوقيين سبقوا العانانية في رفض **التلمود** والأخذ بظاهر نصوص **التوراة**، بل تشددوا أكثر منهم، فلئن كانت العانانية تفتح باب الاجتهاد والقياس فإن الصدوقيين يرون أن كل حكم لا يؤخذ من النص مباشرة فهو بدعة مستحدثة.

لذا فإن البحث عن مرجعية فكرية لهذه الفكرة داخل الدائرة الإسلامية لا تسعفه الدلائل العلمية، لا سيما أن الدائرة الإسلامية لم تشهد في ذلك العصر فرقة معروفة ترد الحديث النبوي بجملته. ومع وجود سابقة يهودية يبعد إعادة الفكرة إلى الدائرة الإسلامية التي تختلف محدداتها عن محددات اليهود. وإذا حدث أن استقى عانان هذه الفكرة من البيئة الإسلامية فإن الباعث عليه حينئذٍ يكون سياسيّاً إلى حدّ بعيد.

لكن لو تمت مقارنة هذه الفكرة مع الأفكار الأخرى للطائفة، فإن احتمال كونهم تأثروا بمنهج بعض الفرق الإسلامية المنحرفة يصير ضعيفاً. وذلك لما يرى من تقارب ملحوظ من تعاليم أهل السنة والجماعة. فالاعتراف بدليلي الإجماع والقياس واتخاذهما منهجاً في تفسير النصوص واستنباط الأحكام، والتأثر بالعادات العامة المألوفة بين المسلمين، والتشبه بهم في وضوئهم وزواجهم، والاعتماد على الأهلة في حساب الأشهر، والدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد وترك الاعتقاد بقدسية آراء علماء الدين، يضاف إلى ذلك كله اعترافهم بنبوة عيسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ كل ذلك أمثلة تشهد على اقتراب الطائفة من منهج عامة المسلمين، وعلى تأثرهم بالفقه الإسلامي السائد.

ويمكن القول: إن العانانيّة لما وجدوا أنفسهم مبهورين بحضارة الإسلام وسعة أحكامه ومنهاجه، وقوة حججه وبرهانه، ووجدوا المسلمين في منأى عن تقديس بعضهم بعضاً، وأن النصوص معتبرة محترمة، وأن الإسلام دين مسامحة ورأفة ورحمة، ووجدوا أن دينهم المتمثل في **التلمود** بعيد عن هذه السمات والخصائص، شدهم ذلك إلى محاولة خلق أجواء مناسبة داخل الدائرة اليهوديّة تمكّنهم من التعامل مع الآخرين وتعيدهم إلى الصفاء الروحي والخلقي الذي جاء به الدين. ولما وجدوا أن (**التلمود**) مصدر التعقيد في حياتهم العقديّة والسياسيّة والاجتماعيّة اتجهوا إلى رفضه ومحاربته. وكأن منهج علماء المسلمين في التعامل مع النصوص ومنهج أهل الحديث في تنقية الروايات وغربلتها جذبهم إلى مضاهاتهم ومحاكاتهم، للتخلص من الزيغ الذي ران على عقائدهم وأخلاقهم فأضافوه إلى نصوصهم ونبيهم موسى ـ عليه السلام. فالقوة التي شهدوها في الإسلام والمسلمين خلقت في نفوسهم داعية قوية تحثهم على غربلة تراثهم الديني من الأفكار والعقائد التي تسيء إلى سمعتهم وتجلب إليهم الدمار والخسران. ومن هنا حاولوا اتباع منهج علماء الإسلام وأساليبهم في الرد على مخالفيهم من الربابنة المجسمين وغيرهم. وهذا تماماً كالذي حدث لعلماء الأديان في هذا العصر من محاولتهم الجمع بين الدين والفلسفات المعاصرة، فحدث بذلك تطور في المناهج والرؤى بصدد كثير من مسائل الاجتماع والاقتصاد والسياسة والعلوم.

على أنه من المهم جدا ألاّ نغفل الجانب السياسي الذي جاء أثره طيا مع هذه المعتقدات والأفكار الجديدة لعانان، فإنه ليس من شك في أن إقرار الطائفة بنبوّة عيسى ومحمد ـ عليهما السلام ـ يجذب إليها ولاء الأمم والشعوب الأخرى، وفي هذا تمهيد سياسي جيد لخوض حوار سياسي وديني مع أهل الأديان الأخرى.

والذي ينبغي أن يقال في خاتمة هذا البحث أنه ليس من السهل تحديد المرجعية الثقافية أو الأهداف الدينية والسياسية التي كمنت وراء ما نزعت إليه الطائفة من أفكار ومعتقدات. لكن تأثرهم بالإسلام واضح جداً، لا سيما في مجال المنهج العلمي والمعرفي.